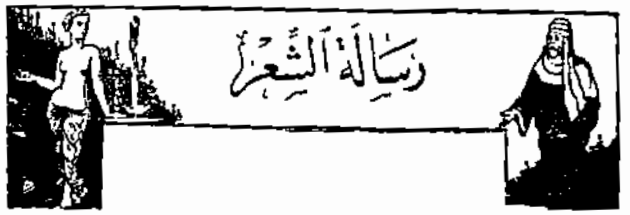

من أمسيات الخريف

للأستاذ محمود الخفيف

حَتَّامَ تُوحِي شَمْسُهُ الغَارِبَهْ ... لِلنَّفْسِ هَذا الشَّجَنْ ؟
حَتَّامَ تَحْكِي لِي المُنَى الذاهِبَهْ ... وَقَدْ تَرَاخَى الزَّمَنْ ؟
شُحُوبُهُ فِي وَجْنَتِي الشَّاحِبَهْ ... يَكْشِفُ مِنْ أَسْقَامِهِ ما كَمَنْ
مَنْ مُبْلِغٌ آمِرَتِي الغَائِبَهْ ... أَنِّي غَرِيبٌ هَاهُنا فِي الوَطَنْ ؟

* * *

أَمْسُ انْقَضَتْ يا قَلْبُ أَحْلَامُهُ ... فَفِيمَ هَذا العَذابْ ؟
لا تَنْفَعُ المَحْزُونَ أَوْهَامُهُ ... إِلاَّ كَلَمْحِ السَّرَابْ
هَذا الأَسَى النَّوَّاحُ أَنْغَامُهُ ... كالرِّيحِ أَنَّتْ فِي شِعَابِ الهَضَابْ
وَدَمْعُكَ السَّحَّاحُ تَسْجَامُهُ ... كَالهَمِّ فِي الغَفْرِ دَمْعُ السَّحَابْ

* * *

وَا حَزَنَا هَذِي رِياحُ الخَرِيفْ ... نَوَّاحَةً شاكِيَهْ
أَرْغُولُها غَنَّى بِهَذا الخَفِيفْ ... أَلْحَانَهَا النَّاعِيَهْ
حَشْرَجَةٌ فِيها نَشِيجٌ مُخِيفْ ... لَمْ تَخْلُ مِنْ أَنَّاتِهَا نَاحِيَه
كَمْ أَسْلَمَتْ لِلسُّقْمِ قَلْبِي الهَيِفْ ... وَأَيْقَظَتْ آلامِيَ الغَافِيَهْ !

* * *

تَهَيَّأَتْ لِلمَوْتِ شَمْسُ الأَصِيلْ ... رَاجِفَةً كاسِفَهْ
مَا زَادَ فِي العُمْرِ النَّهَارُ الطَّوِيلْ ... عَنْ لَمْحَةٍ خَاطِفَهْ !
فِي مِثْلِ هَذا الوَقْتِ كانَ الرَّحِيلْ ... وَالشَّمْسُ فِي كَفِّ الرَّدَى رَاعِفَه
لِمْ أَنْسَ وَالقَوْلُ دُمُوعٌ تَسِيلْ ... أُفْئِدَةً يَوْمَئِذٍ وَاجِفَه

* * *

تَجَهَّزْ يا أُمَاهُ هَذا السَّفَرْ ... تَحْزَنُ رُوحِي لَهُ
أُمَاهُ مَا أَحْسَنُ هَذا الأَثَرْ ... فِي سَفَرٍ قَبْلَهُ !

وَلا تَحِيرُ الأُمُّ غَيْرَ النَّظَرْ ... فِي شَجَنٍ ما عَرَفَتْ مِثْلَهُ
وَذَاكَ رَبُّ الدَّارِ مَهْمَا صَبَرْ ... يَكادُ لا يُبْصِرُ مَا حَوْلَهُ

* * *

وَالْتَفَتَتْ هَامِسَةً بِالسَّلامْ ... بَاسِمَةً دَامِعَهْ
وَحِرْتُ وَاسْتَعْصَى عَلَيَّ الكَلامْ ... وَانْطَلَقَتْ حَازِعَهْ
تَنَاوَحَتْ حَوْلِي بِهَذَا المَقَامْ ... رِيحٌ عَلَى أَوْتَارِهَا القَارِعَهْ
كَمْ نَثَرَتْ حَتَّى احْتَوَانِي الظَّلامْ ... سِلْسِلَةً مِنْ أَدْمُعِي الهَامِعَهْ

* * *

هَا هِيَ ذِي فِي اليَأْسِ تُطْوَى السِّنُون ... وَفِي المُنَى البَاطِلَهْ
يُوحِي لِنَفْسِي فِي الخَرِيفِ المَنُونْ ... أَطْيَافُهَا المَائِلَهْ
الصَّمْتُ فِي وِدْيَانِهِ وَالسُّكُونْ ... وَالمَوْتُ فِي أَوْرَاقِهِ الذَّابِلَهْ
وَالرِّيحُ غَنَّتْ نَاحِلاتِ الغُصُونْ ... أَلْحَانَ تِلْكَ الخُضْرَةِ الزَّائِلَهْ

* * *

فِي الأُفْقِ الغَرْبِيِّ أَلْقَى المَسَاءْ ... ظِلالَهُ الحَالِمَهْ
وَانْطَفَأَتْ فِي لازَوَرْدِ السَّمَاءْ ... جَمْرَتُهَا القَاتِمَهْ
وَأَقْبَلَ اللَّيْلُ وَمَاتَ الضِّيَاءْ ... وَأَنْذَرَتْنِي الظُّلْمَةُ العَارِمَهْ
مَعْنًى جَدِيدٌ مِنْ مَعَانِي الفَنَاءْ ... يَلُوحُ لِي فِي هَذِهِ الخَاتِمَهْ

* * *

فِي كُلِّ شَيْءٍ شَاعَ حَوْلِي الفُتُورْ ... وَدَبَّ طَيْفُ الكَرَى
فِي الدَّوْحِ وَالزَّرْعِ وَهَذِي السُّطُورْ ... مِنْ دُورِ أَهْلِ القُرَى
تَجَسَّمُ الوَحْشَةَ تِلْكَ القُبُورْ ... مَنْظُومَةً فَوْقَ الثَّرَى أَسْطُرَا
صَائِحَةً مَهْمَا يَطُلْ مِنْ غُرُورْ ... فِي العَيْشِ هذا مَصِيرُ الوَرَى !

* * *

وَاللَّاعِبُ الفَلَّاحُ فِي لَحْنِهِ ... أَشْجَى مَعَانِي الأَسَى
لَحْنٌ قَبَسْتُ الشَّجْوَ مِنْ لَوْنِهِ ... وَصُغْتُ هَذَا البُكَا
الذُّلَّ وَالحِرْمَانَ فِي فَنِّهِ ... وَالخَوْفَ وَالجُوعَ وَطُولَ العَنَا
مِنْ شِقْوَةِ الدُّنيا إِلى كِنِّهِ ... يَأْوِي وَمَا فِي الكِنِّ غَيْرُ الضَّنَى

الخفيف

بين الشرق والغرب

آفَةُ الشَّرْقِ اهْتِضَامُ الضُّعَفاءْ وَهَوَى الظُّلْمِ وَإِرْهَاقُ الْعِبَادِ
وَبَلاَءُ الشَّرْقِ خُلْفُ الزُّعَمَاءْ وانْقِسَامُ الرَّأْيِ فِي سَاحِ الْجِهَادِ

وَبَنُو الشَّرْقِ أُنَاسٌ نَبَذُوا خَشْيَةَ اللهِ وَحُبَّ الوَطَنِ
تَبِعُوا الغَرْبَ عُمَاةً وَحَذَوا حَذْوَهُ فِي الْقُبْحِ لا فِي الْحَسَنِ
تَرَكُوا نَهْجَ التُّقَى واتَّخَذُوا سُبُلَ الْكُفْرِ وَطُرْقَ الْفِتَنِ
وَتَبَاهَوا بِالْخَازِي ، بِالرِّيَاءِ بِالْمَعَاصِي ، بِأَفَانِينِ الْفَسَادِ
فَاتَّهُمْ أَنَّ الْمُلاَ بِنْتُ الإِبَاءِ وَبُلُوغُ الْمَجْدِ رَهْنُ الاتِّحَادِ

غُلِبَ الشَّرْقُ عَلَى نَيْلِ الأَرَبْ وَأَبَى التَّفْرِيقُ أَنْ يَنْصُرَهُ
ولو أَنَّ الشَّرْقَ ضَحَّى وَدَأَبْ كَانَ لُطْفُ اللهِ قَدْ أَظْهَرَهُ
إِنَّمَا أَهْلُوهُ زَادُوهُ نَصَبْ قَتَلَ الإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ
لاَ يَمِيلُونَ إِلَى غَيْرِ الْهُرَاءْ أَوْ يَهِيمُونَ بِغَيْرِ الانْتِقَادِ
شَأْنُهُمْ فِي الْعَيْشِ شَأْنُ الْجُبَنَاءْ حَامِلُو الذِّكْرِ قَلِيلُو الاعْتِدَادِ

أَيُّهَذَا الشَّرْقُ يَكْفِيكَ عَمَى فَاتَّقِ الْغَرْبَ وَكُنْ فِي حَذَرِ
لاَ يَغُرَّنَّكَ إِمَّا ابْتَسَمَا بَسْمَةَ الْبَرْقِ قَبِيلَ الْمَطَرِ
فَهْوَ لَمْ يَعْشَقْكَ إِلاَّ مِثْلَمَا يَعْشَقُ الْجَزَّارُ سِرْبَ الْبَقَرِ
سَائِلِ السَّكِّينَ عَنْ هَذَا الْوَلاَءْ وَسَلِ الْمِسْلاَخَ عَنْ ذَاكَ الْوَدَادِ
وَاحْذَرِ السُّمَّ بِمَسْئُولِ السَّبَاءْ وَاجْتَنِبْ فِي وَرْدِهِ شَوْكَ الْقَتَادِ

لاَ تَظُنَّ الْغَرْبَ صَبًّا مُفْتَتِنْ بِكَ ، فَالْغَرْبُ وَلُوعٌ بِفَنَا كَا
أَوْ تَخَلْهُ الطَّاعِمَ الْكَاسِي الْمَرِنْ فَهْوَ مِنْ جِلْدِكَ يَا شَرْقُ كَسَا كَا
وَهْوَ مِنْ لَحْمِكَ غَذَّاكَ وَمِنْ دَمِكَ الْمَسْفُوكِ عُدْوَاناً سَقَا كَا
مُسْتَبِدًّا جَائِرًا بِاسْمِ الإِخَاءْ شَائِقَ الأَقْوَالِ شِرِّيرَ الْمُرَادِ
قَدَّسَ الْغَدْرَ وَنَادَى بِالْوَفَاءْ وَيْلُ هَذَا الشَّرْقِ مِنْ ذَاكَ الْمُنَادِي

(دار الأهرام) فؤاد بليبل

قصة القمر العاشق

(بقية المنشور فى صفحة ١٦٦٠)

رحيق من جنى الفتنـــة لا ينضب أو يفنى

ثم استرسل الشاعر فى الخيال فتصور ضوء القمر غريماً له ومنافساً سبقه إلى هذه الغانية ، ثم ذكر غيرته عليها كلما قبّل ثغرها أو لف نهدها أو ضم جسدها ، قال :

أغار ، أغار إن قبـــل هـذا الثغر أو ثنى
ولف النهـد فى لين وضم الجسد اللـدنا

ثم أخذ ينصح صاحبته بألا تستهين بهذا الضوء وأن تأخذ حذرها منه ، وأن تخشى بأسه . وقد دعم أقواله بحقيقة من الحقائق العلمية ، فذكر أن هذا الضوء يؤثر فى الموجة الكبرى ويرغمها على الخروج من أعماق البحار . وفى هذا إشارة علمية لطيفة إلى المد فإن الأمواج ترتفع تحت جاذبية القمر . وهنا ينتهى الفصل الثانى

أما الفصل الثالث فيبدأ حينما تصور الشاعر هذا الضوء وقد عجز عن أن ينال من هذه الحسناء بعد أن أسبغ عليها كل فنه وجماله .. قال :

أراد فلم ينـل ثغراً ورام فلم يصب حضنا
حوتك ذراعه رسماً وأنت حويتـه فنـا

فى حين أن الفصل الرابع يتمثل فى ثورة هذا الضوء الذى أظهر الرعونة والطيش ومضى يطوى السهول والحزون :

يثـير الليـل أحقاداً وصـدر صحابه ضغنا
وعاد للطفل جبـاراً يهز صراعه الـكونا

فهذا الذى كان يجثو أمامها كالطفل ملتمساً العطف عاد جباراً يهز الكون هزا بصراعه الشديد المتواصل ، يثير الرياح ويرسل العواصف ، فيهرع الناس إلى منازلهم كما يهرعون عند سماع صفارة الإنذار من الغارات الجوية ، ويسرع كل منهم إلى لقاء زوجته . وحينئذ يذكر الناس أن القمر لا بد أن يكون مفتوناً بغادة ملكت عليه كل جوارحه . ثم نصحها بأن تتقى شر ذلك الجبار وتقفل النافذة حتى تصون حسنها من ثورة هذا العاشق ، وحتى لا يظن الناس بخدعها الظنون . وختم هذه الدرة الثمينة بقوله :

فكم أقلقت من ليل ! وكم من قمر جنا !

محمد سيد الكيلانى